

المنوال التحوي العربي قراءة لسانية جديدة

تأليف : عز الدين مجدوب

نشر كلية الآداب بسوسة

ودار محمد علي الحامي - 391 ص

ديسمبر 1998

التراث التحوي العربي ما انفك يمثل طيلة القرن العشرين مجال نظر وبحث ونقد، دعا إلى النظر فيه وتقييمه عاملان اثنان : الحرص في البداية على تبسيطه وتخليصه بما اعتبر مظاهر تعقيد وتشويق حتى يكون أداة تعليم ناجع للغة، ثم النهضة التي شهدتها الدراسات اللسانية في الغرب والرغبة في تقييمه بالنظر إلى ما حققته من نتائج علمية اعتبرت ثورة في مجال العلوم الإنسانية؛ وكانت الأحكام التي غلبت على الكثير من الدراسات التي تناولت هذا التراث بالبحث سلبية في أغلب الأحيان مما يدعو إلى البحث عن أسباب ذلك وعن مدى وجاهتها؛ هذا ما دعا عز الدين مجدوب إلى تخصيص بحث للموضوع يتكوّن من أربعة أقسام تناول في أولها خاصة ما سماه بمقاربات المحدثين للتراث التحوي وما تتسم به من " التجريبية " أي انعدام " التأسيس للممارسة العلمية " وما يقتضيه من وضع المسلمات موضوع تساؤل ونظر، كما سعى إلى إقامة

الدليل على أن الممارسة الميدانية لا تمكّن من تقييم المنوال الإجرائية وأنه لا بدّ من فرضيات عامّة لذلك، ووجد في فرضيات هيلمسليف حدّا أدنى من " الكفاية الوصفية " لتقييم المنوال التحوي العربي.

واختار في الأقسام الأربعة الأخرى من البحث أن ينظر على التوالي في الجملة وأقسام الكلام والوظائف التحويّة والوحدة الدنيا الدالّة، باعتبارها محاور أساسية في التراث التحوي كانت موضوع نقد بل انتقاد عند عدد من الدارسين المحدثين؛ وسعى في كلّ قسم إلى مناقشة أحكامهم وبيان ما يتسم به المنوال التحوي العربي من تماسك وتبعاً لذلك من وجهة النظر إلى حيثياته ومنطلقاته.

لقد اعتبر عز الدين مجدوب أن النظرية اللسانية كفيلة " بمدّ قارئ التراث بمفاتيح تأويل ناجعة " تمكّن من الوقوف على قيمته بالنظر إلى تراث حضارات أخرى وتسمح في آن واحد ببيان حدوده باعتباره " غير مؤسّس على فرضيات عامّة " توطّر الممارسة الميدانية؛ لكن غياب هذه الفرضيات ليس أمراً غريباً ولا شائناً إذ الانطلاق من نظرية عامّة هو من مكتسبات الدراسات اللسانية الحديثة ولا يجوز مؤاخذه التراث على افتقاره إليها وإنما ينبغي تقييمه بالنظر إلى ما حقّقه الحضارات الإنسانية المواكبة له.

ع. المهيري